

ملخص برنامج الخاتمة - الحلقة (١١)

آل محمد هم المحسودون - الجزء (١)

عبد الحليم الغزي

الاثنين: ٣/ صفر/١٤٤٢هـ الموافق ٢٠٢٠/٩/٢١م

◆ حسدٌ مراجع الشيعة لمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم.

● وقفه عند الآية الرابعة والخمسون بعد البسملة من سورة النساء: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾، الآية في محمد وآل محمد بحسب تفسيرهم، الملك العظيم بحسب تفسيرهم صلوات الله عليهم، الملك العظيم الإمامة والتي قد يعبر عنها في روايات أخرى بالطاعة، (إنها الطاعة التي افترضها الله لمحمد وآل محمد على العباد)، وقد يعبر عن هذا الملك العظيم بالولاية إنها ولاية الله المتجليه في محمد وآل محمد، في أتم الصور وأكمل النشآت.

● وقفه عند (الكافي الشريف، ج١)، صفحة (٢٢٩)، (باب أن الأمة عليهم السلام ولاة الأمر وهم الناس المحسودون الذين ذكرهم الله عز وجل)، الحديث الأول: أذهب إلى موطن الحاجة، لما قرأ الإمام صلوات الله عليه إمامنا الباقر: "أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ"، فماذا قال إمامنا الباقر؟ قَالَ: نَحْنُ النَّاسُ الْمَحْسُودُونَ عَلَى مَا آتَانَا اللَّهُ مِنَ الْإِمَامَةِ دُونَ خَلْقِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ - هذا وصف خاص بمحمد وآل محمد، إذا أطلق على غيرهم في ثقافة الكتاب والعترة فإنه يأتي بلسان المجاز بلسان المسامحة، بلسان الحقيقة هذا العنوان ينطبق فقط على محمد وآل محمد، وإذا أردنا تطبيقه على سائر الأنبياء والأوصياء فإنه ينطبق عليهم بالتجوز والمسامحة.

● الحديث الثاني: عن محمد بن الفضل، عن إمامنا الكاظم صلوات الله عليه، في قول الله تبارك وتعالى: "أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ" - إمامنا الكاظم - قَالَ: نَحْنُ الْمَحْسُودُونَ.

● الحديث الثالث: بسنده، عن حمزان بن أعين عن إمامنا الصادق - أخذ موطن الحاجة، فحمزان يسأل الإمام الصادق عن معنى ما جاء في الآية: "وَأَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا"، فَقَالَ: الطَّاعَةُ.

● الحديث الرابع: بسنده، عن أبي الصباح قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ - إمامنا الصادق صلوات الله عليه - سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَنِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: "أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ"، فَقَالَ - الصَّادِقُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - يَا أَبَا الصَّبَّاحِ، نَحْنُ وَاللَّهِ النَّاسُ الْمَحْسُودُونَ - عنوان خاص بهم.

● الحديث الخامس: بسنده، عن بريد العجلي عن باقر العلوم صلوات الله عليه - أخذ موطن الحاجة فيما يرتبط بمعنى ﴿وَأَتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ - قَالَ: الْمَلِكُ الْعَظِيمُ أَنْ جَعَلَ فِيهِمْ أُمَّةً مِنْ أَطَاعَهُمْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَاهُمْ عَصَا اللَّهَ فَهُوَ الْمَلِكُ الْعَظِيمُ.

من خلال ما تقدم من كلماتهم صلوات الله عليهم هناك أمران:

- الأمر الأول: هم المحسودون.

- والأمر الثاني: الملك العظيم (الإمامة) إنها الطاعة المفترضة.

الحسد مداره أين؟ مدار الحسد في الملك العظيم في الإمامة، في الطاعة المفترضة.

● وقفه عند (الكافي الشريف، ج٢)، صفحة (٣٢١)، باب الحسد، الحديث الثاني: عن جراح المدائني عن إمامنا الصادق صلوات الله عليه: إِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ - الإيمان هو ولاية علي، ويتعبير دقيق في زماننا الإيمان ولاية الحجة بن الحسن وانتهينا.. هذا هو حسدٌ يصدر منّا باتجاه محمد وآل محمد، قد تستغربون حينما لا تكون عندنا مشكلة في مقامات الأمة فإن معنى الحسد لا يتطرق في أذهاننا باتجاههم صلوات الله عليهم ولكن حينما نوصف رؤساء في الدين زعماء في الدين ونطمع يوماً بعد يوم بأن ننال من الحظوة عند الناس ومن القدسية والمنزلة أن نتسلط عليهم في كل شيء ويواجهنا مقام محمد وآل محمد فيحوّل بيننا وبين ذلك يشتغل الحسد، فلذا عامة الشيعة لا يتطرق إلى أذهانهم هذا الموضوع، الذي يبطل به أولئك الذين يعيشون ليهم ونهارهم يطلبون الرئاسة والمرجعية يتهاشرون عليها تهاش الكلاب على الجيف هذه فتنة المراجع.

● الحديث الخامس من نفس الباب: عن معاوية بن وهب قَالَ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه - أَقَّةُ الدِّينِ الْحَسَدُ وَالْعَجَبُ وَالْفَخْرُ - قطعاً أخطر منزلة من منازل الحسد منزلة الحسد لمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم.

● الحديث السابع وهو قاعدة مهمة جداً وخطيرة جداً في نفس الوقت: بسنده، عن فضيل بن عياض عن إمامنا الصادق صلوات الله عليه: إن المؤمن يغبط ولا يحسد - لا يحسد أئمة - والمنافق يحسد ولا يغبط - وهذا يعني أن صفة النفاق قد انتشرت في قلوب المراجع والفقهاء.. المحسودون هم، جهة الحسد الإمامة الولاية الطاعة المفترضة.

● وقفه عند (نهج البلاغة الشريف)، الباب الذي جمع فيه الشريف الرضي حكماً من حكم أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، الحكمة المرقمة (٢١٨)، ماذا يقول أمير المؤمنين؟ يقول: **حَسَدُ الصِّدِّيقِ مِنْ سَقَمِ الْمَوَدَّةِ** - هذا إذا كان المراد من الصديق صديق الناس فيما بين الناس، لكن إذا كان المراد من الصديق هو صديق محمد وآل محمد وصديقهم يعني أنه من شيعتهم، مثلما جاء في حديث الصادق صلوات الله وسلامه عليه، الذي يرويه الشيخ المفيد: **(صَدِيقٌ عَدُوٌّ عَلِيٍّ عَدُوٌّ عَلِيٍّ)**، فهناك صديق للسقيفة، وهناك صديق للعترة الطاهرة..

● وفي الباب الذي جمع فيه الشريف الرضي من قصار كلمات أمير المؤمنين والتي جمعها تحت عنوان (الغريب من كلامه)، الكلمة المرقمة (٣٤٧)، الأمير يقول: **الثناء بكثرة الاستحقاق مَلَقٌ - مَلَقٌ يَعْنِي تَمَلَّقٌ، وَالتَّمَلَّقُ هُوَ دَرَجَةٌ مِنْ دَرَجَاتِ النِّفَاقِ، الثَّنَاءُ يَعْنِي أَنْ تَمْدَحَ أَوْ أَنْ تَشْكُرَ أَوْ أَنْ تُبَدِي فَضْلَ أَحَدٍ أَوْ أَنْ تُعْرِفَ بِأَحَدٍ نَحْوَهُ هُوَ أَكْثَرُ مِمَّا يَسْتَحِقُّ فَذَلِكَ مَا هُوَ بِنَاءٌ حَقِيقِي وَلَا هُوَ بِصَدَقٍ، إِنَّهُ تَمَلَّقٌ - وَالتَّقْصِيرُ عَنِ الِاسْتِحْقَاقِ عِيٌّ أَوْ حَسَدٌ - أَنْ لَا نَعْرِفَ بِالْجِهَةِ الَّتِي نَعْرِفُهَا كَمَا تَسْتَحِقُّ هَذَا إِمَامٌ عِيٌّ أَوْ حَسَدٌ، حَالُهُ نَفْسِيَّةٌ فِي دَاخِلِنَا لَا تَسْمَعُ لَنَا أَنْ نَعْرِفَ بِالْجِهَةِ الَّتِي نَحْسَدُهَا عَلَى أَمٍّ وَجْهِ، وَلِذَا أَكْرَرُ عَلَيْكُمْ: (اعرف إمامك في أعلى المستويات و عرف بإمامك في أعلى المستويات)، هذه هي الزبدة الذهبية.**

● وقفه عند الدعاء الذي يقرأ في زيارة آل ياسين، الزيارة التي وردت من إمام زماننا إلينا، ماذا نقرأ في الدعاء الذي يقرأ عقب الزيارة؟ هكذا ندعو لإمام زماننا: **(وَاحْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَاحْرَسْهُ وَأَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يُوَصَلَ إِلَيْهِ بِسُوءٍ).**

هذه التعبيرات: **(وَاحْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ)**، في مذاق الأدعية وفي ثقافة الأدعية إنها تتحدث عن الحسد، الإمام الحجة صلوات الله وسلامه عليه محفوظ لكن الأدعية تثقفنا من أن هناك من يحسده، من الذي يحسد صاحب الأمر؟ الناصري؟ لا يعتقدون بوجوده، السنة؟ لا يعتقدون بوجوده، عوام الشيعة؟ لا يتطرق هذا المعنى إلى أذهانهم، من الذين هم في حالة مزاحمة مع الإمام صلوات الله وسلامه عليه؟ إنهم مراجع الشيعة هم الذين يحسدون إمام زماننا.

● وقفه عند دعاء الفرج الرضوي الدعاء المروي عن إمامنا الرضا في (مفاتيح الجنان)، والذي أوله: **(اللَّهُمَّ ادْفَعْ عَنَّا وَلِيَّكَ وَخَلِيفَتِكَ وَحِجَّتِكَ عَلَيَّ خَلْقِكَ)**، إلى أن يقول الدعاء: **(وَاحْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ قَوْفِهِ وَمِنْ تَحْتِهِ بِحِفْظِكَ الَّذِي لَا يَضِيعُ مِنْ حِفْظَتِهِ بِهِ - هَذِهِ الْعِبَارَاتُ، هَذِهِ الْأَلْفَاظُ، هَذِهِ التَّرَاكِبُ تَرِدُ فِي مَقَامِ دَفْعِ شَرِّ الْحَاسِدِينَ، لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنْ يَعْنِي هَذَا أَنْ شَرَّ الْحَاسِدِينَ سَيَصِلُ إِلَى الْإِمَامِ الْحُجَّةِ، هَذِهِ الْأَدْعِيَةُ هِيَ مَصَادِرٌ لِلْمَعْرِفَةِ، هِيَ مَنَابِعٌ لِلْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَلِذَا أَمَرْنَا بِأَنْ تَتَدَبَّرَ فِيهَا، (أَلَا لَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةِ لَيْسَ فِيهَا تَدَبَّرَ).**

● وأما في الدعاء الأهم من أدعية عصر الغيبة والذي أوله: **(اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسِكَ)**، الدعاء الطويل الموجود في آخر مفاتيح الجنان جاء فيه أيضاً: **(وَاحْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ قَوْفِهِ وَمِنْ تَحْتِهِ بِحِفْظِكَ الَّذِي لَا يَضِيعُ مِنْ حِفْظَتِهِ بِهِ).**

تلاحظون أن الكلمات نفسها تتردد في أدعية الفرج المهدي، كل ذلك يشير بإشارة دقيقة إلى أن الحسد الذي يتوجه إلى الإمام موجود متوفر في زمان غيبته.

● وقفه عند كتاب (الغيبة)، صفحة (٢١٤): بسنده، عن أبي خالد الكابلي، قال: **سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ - أَبُو خَالِدٍ الْكَابَلِيُّ يَسْأَلُ الْإِمَامَ الْبَاقِرَ - أَنْ يُسَمِّيَ الْقَائِمَ حَتَّى أَعْرِفَهُ بِاسْمِهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا خَالِدٍ، سَأَلْتَنِي عَنْ أَمْرٍ لَوْ أَنَّ بَنِي فَاطِمَةَ عَرَفُوهُ لَحَرَّصُوا عَلَيَّ أَنْ يَقَطُّعُوهُ بَضْعَةً بَضْعَةً - يَعْنِي قُطْعَةً قُطْعَةً.**

لَوْ أَنَّ بَنِي فَاطِمَةَ - الْأُمَّةَ حُسِدُوا حَتَّى مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْهِمْ، حَادَتْهُ جَعْفَرُ الَّذِي يَعْرِفُ بِجَعْفَرِ الْكَذَّابِ وَهُوَ ابْنُ الْإِمَامِ الْهَادِي وَالَّذِينَ نَاصَرُوهُ مِنْ أَبْنَائِهِ مِنْ أَسْرَتِهِ فِي مَوَاجِهَةِ إِمَامِ زَمَانِنَا أُسَاسَهَا الْحَسَدُ، جَعْفَرُ كَانَ حَاسِداً لِلْإِمَامِ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ وَاسْتَمَرَّ حَسَدُهُ لَوْلَدِهِ الْحُجَّةِ، وَلِذَا فِي تَوْقِيعِ إِسْحَاقِ بْنِ يَعْقُوبَ الْإِمَامِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَجْعَلُ سَبِيلَهُمْ؛ سَبِيلَ جَعْفَرٍ وَأَوْلَادِهِ يَجْعَلُ سَبِيلَهُمْ سَبِيلَ أُخُوَّةِ يَوْسُفَ الَّذِينَ حَسَدُوا أَخَاهُمْ يَوْسُفَ - لَوْ أَنَّ بَنِي فَاطِمَةَ عَرَفُوهُ لَحَرَّصُوا عَلَيَّ أَنْ يَقَطُّعُوهُ بَضْعَةً بَضْعَةً - هَذَا الْأَمْرُ يَجْرِي فِي مَرَاجِعِ الشِّيْعَةِ أَيْضاً.

أنا أقول لكم: مثلاً المراجع الذين هم ينتظرون موت السيستاني هؤلاء يريدون للإمام الحجة أن يظهر؟ مستحيل هذا، أصلاً لا يعجبهم أن يسموا أحداً يتكلم من أن الظهور قريب، لا يريدون ذلك، خصوصاً الذين يملكون ظناً عالياً من أن المرجعية ربما سينالون جزءاً كبيراً من كعنتها، هؤلاء لا يريدون الإمام الحجة ولا يفكرون فيه ولا يبحثون عن ظهوره ولا شأن لهم بتمهيد الأمر له، يريدون الوصول إلى المرجعية، والجميع هكذا، (من طلب الرئاسة هلك)، إنها الرئاسة الدينية، إنها المرجعية..

● وقفه عند كتاب (الخصال) لشيخنا الصدوق، باب الستة، صفحة ٣٥٨، الحديث الرابع عشر: عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه: **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَعْذِبُ سِتَّةَ بَسْتَةِ الْعَرَبِ بِالْعَصْبِيَّةِ وَالذَّهَاقَنَةَ بِالْكَبْرِ وَالْأَمْرَاءَ بِالْجَوْرِ وَالْفُقَهَاءَ بِالْحَسَدِ وَالتَّجَارَ بِالْخِيَانَةِ وَأَهْلَ الرِّسْتَاقِ بِالْجَهْلِ - (وَالْفُقَهَاءَ بِالْحَسَدِ) كُلُّ مَجْمُوعَةٍ لَزِمَهَا مَا لَزِمَهَا، الَّذِي لَزِمَ الْفُقَهَاءَ وَلَزِمَ الْمَرَاجِعَ الْحَسَدَ.**

إمامنا الصادق من أنهم حسدونا ومن أنهم أعداؤنا - وَلَوْ عَلِمُوا وَيَحْتَمُونَ أَنَّ اللَّهَ مَا أَعْطَانَا مِنْ فَضْلِهِ شَيْئًا إِلَّا أَنْزَلَهُ فِي سَائِرِ كُتُبِهِ وَوَصَفَنَا بِهِ وَلَكِنَّ أَعْدَاءَنَا لَا يَعْلَمُونَ وَإِذَا سَمِعُوا فَضْلَنَا أَنْكَرُوهُ وَصَدُّوا عَنْهُ وَاسْتَكْبَرُوا.

● من نفس الرواية ومن نفس المصدر كلامٌ خطيرٌ جدًّا، المفضل يقول للإمام الصادق: فَارْجِعْ يَا مَوْلَايَ إِلَى ذِكْرِ الْمُقَصِّرَةِ الَّذِينَ لَا يَلْحَقُونَ بِكُمْ وَالْفَرْقِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَعْدَائِكُمُ النَّاصِبَةِ - ماذا قال له الصادق صلواتُ الله عليه؟ - قَالَ: يَا مَفْضَلُ، النَّاصِبَةُ أَعْدَاؤُكُمْ - ليس أعداء لنا - وَالْمُقَصِّرَةُ أَعْدَاؤُنَا - المقصرة الذين هم من الشيعة علماء الشيعة مراجع النجف تحديدًا، حين أقول تحديدًا لا يعني أن الأمر يتحدد جغرافياً بالنجف إنني أتحدث عن المنهج لا أتحدث عن الجغرافيا.

الإمام يبين: وَالْمُقَصِّرَةُ أَعْدَاؤُنَا لِأَنَّ النَّاصِبَةَ تُطَالِبُكُمْ - تطالب الشيعة - أَنْ تُقَدِّمُوا عَلَيْنَا - على محمد وآل محمد - أَنْ تُقَدِّمُوا عَلَيْنَا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَلَا يَعْرِفُوا مِنْ فَضْلِنَا شَيْئًا، وَالْمُقَصِّرَةُ قَدْ وَأَفْقُوَكُمْ عَلَى الْبِرَاءَةِ مِمَّنْ ذَكَرْنَا وَعَرَفُوا فَضْلَنَا وَحَقَّنَا فَانْكَرُوهُ وَجَحَدُوهُ وَقَالُوا هَذَا لَيْسَ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ بَشَرٌ مِثْلُنَا، وَقَدْ صَدَّقُوا أَنَّنَا بَشَرٌ مِثْلَهُمْ إِلَّا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَفُوضُهُ إِلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِ وَنَهِيهِ فَنَحْنُ نَفْعَلُ بِأُذُنِهِ كُلَّ مَا شَرَحْتَهُ وَبَيْنْتَهُ لَكَ قَدْ اصْطَفَانَا بِهِ - الرواية طويلة، موطن الشاهد هنا: (من أن الناصبة أعداء الشيعة، أما المقصرة هم أعداء الأمة)، لأن المقصرة حسدوا الأمة، كان ذلك بغياً منهم وحسداً.